

أسلوب التعليل في اللغة العربية

عرض

محمد عباس عربي

إعداد

أحمد خضير عباس

أسلوب التعليل في اللغة العربية رسالة ماجستير مقدمة من الباحث/ أحمد خضير عباس إلى مجلس كلية الآداب – الجامعة المستنصرية عام ١٩٩٩م.

مقدمة

قدم الباحثون في ميدان اللغة العربية دراسات مختلفة، وحظيت دراسة أساليبها باهتمامهم، فكان أن درس أسلوب الاستفهام وأسلوب النفي وأسلوب القسم وأسلوب الطلب وغير ذلك ... وقد وجد الباحث من الأساليب ما لم تمتد إليه يد البحث ، ولم يكشفه نور الدرس – أسلوب التعليل – إذ لم يحظ باهتمام الباحثين إلا قليلاً . ذلك مما أثار في نفس الباحث أن يخوض غماره ، ويسبر أغواره ، ليكون البحث محاولة لتكميل ما درسوا ، وخطوة لإتمام ما أسسوا ، خادماً به لغتنا العربية التي كرمها الله بكونها لغة القرآن الكريم ، فكرمنا بذلك .

مكونات البحث

وجاء البحث في تمهيد وثلاثة فصول ، تناول الباحث في التمهيد التعليل والعلة لغة واصطلاحاً ، فبين أولاً معنى التعليل ومعاني العلة في اللغة ، وذكر ما رأى أنه مدار معانيها ، وتلا ذلك بيان لمقصود التعليل والعلة عند الفلاسفة وعلماء أصول الفقه والنحاة ، وذكر أقسام العلة الأربعة عند الفلاسفة ومراتب التعليل عند الأصوليين وأنواع العلة النحوية . ثم وضح العلاقة بين العلة النحوية وعلل الفلاسفة والأصوليين من جهة التأثير والتأثر .

وتناول بعد ذلك التعليل والعلة في الاستعمال اللغوي – في اصطلاحنا – ووضح قسماً العلة التي يكون التعليل بمقتضاها على نوعين . ثم بين الفائدة من التعليل في التعبير .

وخصصت الفصل الأول لدراسة التعليل المؤدى بالحروف، فوقع الفصل في خمسة مباحث ، تناول في أولها التعليل باللام ، إذ هي أم باب التعليل على ما أثبت الباحث في هذا البحث . واختص المبحث الثاني بدراسة التعليل بالحروف الأحادية (عدا اللام). وجاء المبحث الثالث لبيان التعليل بالحروف الثنائية . إما المبحث الرابع فقد ضم التعليل بالحروف الثلاثية والرباعية ، ووضح خلال ذلك كله ما لم ير فيه تعليلاً وادّعى له ذلك . وبحث في المبحث الخامس الفروق الدقيقة في معنى التعليل بقسم من الحروف المعللة .

أما الفصل الثاني فقد خصصه لدراسة التعليل بالأسماء ، ولعل هذا التعليل أكثر ما يكون في المصادر (صريحة ومؤولة) لذا كان في مبحثين ، جعل الباحث الأول منهما للتعليل بالمفعول لأجله (وهو المصدر الصريح) ، وجعل الثاني لدراسة التعليل بالمصدر المؤول من (أن والفعل) والتعليل بالحرف (إن) ، وبين الباحث في ثانيهما التعليل بالمصدر المؤول من (إن واسمها وخبرها) والتعليل بالحرف (إن) .

وأحق الباحث بمبحثي هذا الفصل (بيد وحيث) إذ أنهما اسمان ليسا من المصادر .

وبحثت في الفصل الثالث ما لم يشملته الفصلان المتقدمان ، وهو على ثلاثة مباحث ، تناول الباحث في الفصل الأول منها التعليل في التركيب الشرطي وتضمن ذلك بيان الفرق بين التعليل والسببية ، وبين السببية في أنواع الشرطي السببي .

وتناول في المبحث الثاني التعليل الحاصل بالجملة والمفهوم من السياق أما المبحث الثالث فكان للتعليل بأمور متفرقة كالتعليل بالألفاظ الصريحة ، والتعليل بالعلة المركبة والتعليل بالعلة المجازية . وانتهى من ذلك كله إلى خاتمة للبحث ذكر فيها أهم النتائج التي خرج بها .

خلاصة البحث

في العربية أساليب عدة تناولها العلماء بالدرس والتفصيل بوصفها مواضيع مستقلة أو أدوات متفرقة في ثنايا كتبهم كالاستفهام والنفي والتعجب والمدح والذم ... الخ .

ولم يحضَ أسلوب التعليل بدراسة مستقلة جامعة لأدواته وطرائقه ، ولم تمتد إليه يد البحث ولم ينل اهتمام الباحثين إلا قليلا . لذلك أثر الباحث دراسته بالتفصيل وبيان طرائقه ، فوقع البحث في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

أما **التمهيد** فتناول التعليل والعلة لغة ، وتناولهما في اصطلاح الفلاسفة فذكر الباحث أنواع العلل الأربعة وحَدَّد المقصود بالعلة الفاعلية (السبب) والعلة الغائية (الغرض) .

وتناول التمهيد التعليل والعلة في اصطلاح علماء أصول الفقه والأمور التي تُطلق العلة عليها عندهم ، كما تناول تقسيم الأصوليين للألفاظ الدالة على العلية وتناول الإيماء .

وعرف التمهيد التعليل والعلة في اصطلاح النحاة ثم بين صلة العلة النحوية بالعلتين الفقهية والفلسفية ، إذ إن مباحث العلة النحوية محمولة على مباحث العلة الفقهية ومتأثرة بالعلة الفلسفية ، وعلى الرغم من ذلك تختلف طبيعة العلل الثلاث (الفلسفية والفقهية والنحوية) .

وفي التمهيد أيضا تأصيل لاصطلاح التعليل والعلة في الاستعمال اللغوي (وعلى هذا مدار البحث) ، فالعلة قسمان : الغرض (العلة الغائية) والسبب ... أما **الغرض** فهو الأمر المراد تحقيقه والباعث على إيقاع الفعل وهو متقدم عليه في الذهن والتصور ، متأخر عنه في الخارج .

والسبب : هو العامل المؤثر والمسبب ، وهو متقدم - غالبا- على المسبب في الذهن والخارج .

أما **التعليل** فهو تبين الغرض من إيقاع الفعل أو سبب وقوعه . وعلى هذا فالتعليل نوعان ؛ الأول تعليل بالغرض ، وفيه يُعلَّل الفعل بذكر الأمر المراد من إيقاعه والباعث عليه ، والثاني تعليل بالسبب وهنا يُعلَّل الفعل بذكر المؤثر والمسبب له .

وجاء **الفصل الأول** مختصاً بالتعليل بالحروف ، بدأ **بالتعليل باللام** كون اللام هي أم الباب كما تبين في هذا البحث . واللام المعللة ثلاثة أنواع :

الأول : ما يدخل على الاسم ، والتعليل بها قد يكون تعليلًا بالغرض أو تعليلًا بالسبب .

الثاني : لام المستغاث له ، وتعليلها تعليل بالسبب غالبا .

الثالث : ما يدخل على الفعل المضارع ، وتعليلها تعليل بالغرض فحسب .

وقد يكون التعليل مجازياً إذا كانت اللام لام العاقبة .

ثم **التعليل بالحروف الأحادية** : (الباء ، الفاء ، الكاف ، الواو) ، فالباء إذا جاءت معللة كان تعليلها تعليلًا سببياً ، ومثله التعليل بالفاء . أما التعليل بالكاف والواو فلم يثبت عندنا خلافاً لمذهب آخرين .

أما **التعليل بالحروف الثنائية** فضمّ الحروف الآتية : (إذ ، أن ، أو ، عن ، في ، كي ، من) ، فالتعليل بـ (إذ) هو تعليل بالسبب ، و (إذ) تكون عندئذ حرف تعليل يفيد فضلا عن ذلك تجاورا زمنيا بين السبب والمسبب ، ففوق المسبب يكون عقيب وقوع السبب وفي أثره .

و (أو) تفيد التعليل إذا جاءت بمعنى (كي) وتعليلها غرضي . ومثلها (كي) إذ اقتصت بإفادة التعليل بالغرض ومن ثم فإن التعليل بـ (كي) يؤكد على إرادة حصول الغرض . أما (عن) فتعليلها تعليل سببي غالبا وهو على العموم قليل . و(في) لا تفيد إلا تعليلًا بالسبب على الرغم من وصفها مرة بالسببية ومرة بالتعليلية . والتعليل بـ (من) تعليل بالسبب كذلك . أما التعليل بـ (أن) ففيه تفصيل لا يسعه المقام .

والتعليل بالحروف الثلاثية كان بالحروف الآتية : (إذن ، إلى ، إن ، أن ، على ، كما) . ف (إذن) يكون تعليلها سببيا ويكون ما قبلها أو معكوس مضمونه سببيا في مضمون جملتها .

و (إن) لا تفيد تعليلًا بنفسها وإنما يفهم التعليل من موضع جملتها بتمامها في السياق .

أما (أن) فهي تفيد التعليل إذا كانت مع جملتها مؤولة بمصدر ، وقد تفيد تعليلًا بنفسها إذا جاءت بمعنى (لعل) وتعليلها غرضي .

و (على) تفيد تعليلًا سببيا غالبا وهو يحمل معنى الاستعلاء .

و (كما) قد تدخل على الفعل المضارع وتدخل على غيره ، فعند دخولها على غيره كأن تدخل على جملة اسمية أو على فعل ماضٍ ، فأصلها كاف التشبيه دخلت عليها (ما) .

أما إذا دخلت على الفعل المضارع فإذا كان منصوبا فإن أصلها (كيما) وتفيد هنا التعليل بالغرض ، وإذا كان مرفوعا احتل فيه ذلك فيكون أصلها (كي) مكفوفة بـ (ما) ، واحتمل غيره وأصلها هنا كاف التشبيه مكفوفة بـ (ما) أيضا .

وأما (إلى) فلا نرى أنها تفيد تعليلًا خلافا لمن ذهب هذا المذهب .

ثم بعد ذلك **التعليل بالحروف الرباعية** وهي : (حتّى ، كأنّ ، لعلّ) ، ف (حتى) تفيد التعليل بالغرض إذا كانت داخلية على فعل مضارع منصوب وكانت بمعنى (كي) ، والتعليل بها مقتصر على هذا الموضع .

ومثل ذلك (لعل) إذ تعلّل تعليلًا غرضيا فهي عندئذ بمعنى (كي) أيضا .

و(كأن) لا تفيد التعليل إذ لم يثبت عندنا هذا المعنى لها .

وختم الفصل بتبيين الفرق في معنى التعليل بين بعض الحروف المعلّلة ، بدءاً بحروف الجر المعلّلة ، ثم (اللام ومن) في الاستغاثة ، تلاه الفرق بين التعليل باللام والتعليل بفاء السببية ، والفرق بين (اللام وكي) ثم (كي ولعل) .

واختص **الفصل الثانی** بالتعليل بالأسماء ، فكان التعليل بالمفعول له (المصدر الصريح) ومناقشة شروطه ثم بيان للفرق في التعليل بين المفعول له واللام .

تلا ذلك التعليل بالمصدر المؤول وهو ما كان مسبوكا من (أن والفعل) أو من (أنّ واسمها وخبرها) وتضمن ذلك بيان للتعليل بالحرفين (أنّ ، أن) .

وختم الفصل الثاني بإلحاق الاسمين (بَيِّدَ ، حيثُ) ، بالأول يفيد تعليلا سببيا إذا جاء بمعنى (من أجل) .
والثاني لم نقر بإفادته التعليل إذ لم يقر عندنا ما يدل عليه .

وجمع **الفصل الثالث** وسائل أخرى للتعليل ، كان أولها التعليل في التركيب الشرطي ، ففي التركيب الشرطي جملتان (جملة الشرط وجملة الجواب) يكون الارتباط بينهما -على ما يرى قسم من المحدثين- قائم على ثلاثة معانٍ ؛ فهو إما أن يكون ارتباطا سببيا أو ارتباطا تقابليا أو أن يكون الارتباط تلازميا وما يُعنى به في مقام التعليل هو الأول ، إذ إن فيه دلالة على سببية الجملة الأولى ومسببية الجملة الثانية .

على أن الفرق قائم بين التعليل والسببية ، فالسببية هي تبين لما يتسبب عن أمر يكون بموجب ذلك سببا ، أما التعليل فهو تبين أو ذكر لعلة الشيء ، والفرق بينهما لا يبعد السببية عن التعليل فهي تتضمنه ضمنا إذ إن فيهما ذكر عللة ومعلول ، وعلى السببية لا تكون إلا سببا فهي لذلك تتضمن تعليلا بالسبب . ومن ثم يكون التعليل في التركيب الشرطي من نوع التعليل بالسبب ، ويكون فيه مضمون جملة الشرط سببا لوقوع الجواب .
ثم بعد التعليل في التركيب الشرطي جاء التعليل في الجملة والسياق ، ومن الجمل التي يفهم التعليل في سياقها ما يأتي :-

١ . **الجملة الاسمية (إنَّ واسمها وخبرها) :** حيث إن مضمونها يكون سببا لما قبلها ، وهذا السبب ليس ما يُشترط فيه أن يتقدم على المسبب ذهنا وخارجا ، فهو لمطلق الزمان غالبا .
وأغلب ما يُعلَّل بجملة (إنَّ) يكون نفيا أو طلبا .

والتعليل عند فتح همزة (أنَّ) يكون مقيدا بعامله مقصورا عليه ، أي : إنما حصل هذا لهذا ، وهو واقع في جملة واحدة ، بخلاف التعليل لو كسرت همزة (إنَّ) إذ يكون تعليلا واسعا وحكما عاما مستأنفاً غير مقيد بالعامل والكلام فيه واقع في جملتين ؛ الأولى تشتمل على المعلَّل والثانية هي المعلِّلة ، فهو إذن تعليل جملي ، أما السابق فهو تعليل بالمصدر المؤول أو هو تعليل إفرادي .

٢ . **جملة الطلب وجواب الطلب أو ما يقابله :** وهذا يشمل ما يأتي :-

أ - الفعل المجزوم الواقع جوابا للطلب .

ب - الفعل المرفوع بعد الطلب .

ج - الجملة الاسمية بعد الطلب .

فالطلب إذا أُجيب عنه بفعل مجزوم كان المراد منه أن مضمون الجواب يتسبب عما قبله ، والتعليل هنا تعليل بالسبب إذ السبب هو ما يتحقق من الطلب . أما إذا كان المضارع مرفوعا فقد تكون جملته في مقام التعليل لما قبلها وهذا تعليله غرضي غالبا وقد يكون سببيا . وإما إذا كان ما بعد الطلب جملة اسمية فقد يكون مضمونها سببا فيما قبلها والتعليل عندئذ تعليل بالسبب .

وقد يفهم التعليل من بعض الجمل والألفاظ في سياق الكلام ، من ذلك المواضع الآتية :-

١ . **الجملة الحالية :** قد يُستفاد التعليل من جملة الحال والتعليل بها يكون تعليلا بالغرض مرة ، وتعليلها بالسبب مرة أخرى .

٢ . **جملة صلة الموصول** : قد يكون مضمون هذه الجملة سبب الحكم المتعلق بالاسم الموصول ، والتعليل السياقي الذي تؤديه جملة صلة الموصول تعليل بالسبب .

٣ . **المشتقات** : والتعليل السياقي هو تعليل بالسبب فحسب .

على أن التعليل في الموضوعين الأخيرين ليس واضحا كل الوضوح إذ ليس المقصود من الكلام التعليل او تبين السبب .

ثم قد يُفهم التعليل من سياق الكلام في غير ما تقدم من جمل .

وقد ترد في معرض النص ألفاظ تبين العلة (سببا كانت أو غرضا) وتدل عليها فيكون ذكر العلة شرحا وتفصيلا لها ، ومن تلك الألفاظ ما يأتي : [(علة ، سبب ، غرض ..) و (لأجل ، من اجل ، وما هو بنفس المعنى)]

قد يحصل التعليل بذكر (العلة المركبة) ، وتتركب من أكثر من أمر تتضافر كلها معا لتكون علة لما قبلها . وهذا النوع يحصل باللام أو (أن) .

كما أن التعليل قد يكون مجازيا (وهو ما يسميه البلاغيون " حسن التعليل") إذا كانت العلة المدّعاة للمعلول ليست حقيقية وليست في الواقع .